أنظار في التعريب

سليم حيدر
مندوب لبنان في مؤتمر التعريب

+ الحرف العربي ليس جزءا من الكلمة وحسب وانما هو لبنة في بناء الكلمة .

+ الاخذ والعطاء ناموس الحياة والعربية أخذت كثيرا فيما مضى ، ولكنها أعطت أضعاف ما أخذت

+ ان أحوج ما تحتاج اليه الشعوب العربية في معرض التعريب هي أن تتعرب عقليا من الجذور الى القمة .

+ وجود المكتب الدائم للتعريب ضرورى لتحقيق التعريب في العالم العربي .

تتركنا مئات السنين ، وتفرنجنا بعد ذلك عشرات السنين .

وفي خلال تلك المئات والعشرات ، بقي الفكر الانساني متومجا ، يصب اشعته الكشافة على ظلام المجهول ليبعد حدوده ويوسع نطاق المعرفة .

وخبا الفكر العربي طوال تلك المئات والعشرات من السنين . فانكفأ على نفسه يدور في لولبيات الفراغ اللفظي ، ويجتر قوالب الماضي .

وفجاة استيقظنا ، ونهضنا نتفهم الحياة الجديدة . ما كدنا نجد اسما للآلة الكاتبة حتى كان القوم قد اخترعوا الدماغ الالكتروني !

أود قبل كل شيء ان اقطع الطريق على الغلاة من الطرفين فللمغالين في قدر اللغة العربية ، والحفاظ عليها ، على اصالتها ونقاوة دمها ، أقول : ليس من لغة على وجه الارض يمكنها ان تكتفي بذاتها ، فالاخذ والعطاء ناموس الحياة . والعربية اخذت كثيرا فيما مضى ، ولكنها اعطت اضعاف ما اخذت . فاذا كانت حريصة على البقاء حريصة على أن تستمر في العطاء فيجب الا تتحرج من الاخذ حين لا مندوحة عن الاخذ .

وللمغالين في غمطها حق قدرها ، لاعدائها أو لجاهليها ، للخائفين والمترددين ، للمتشككين بكفاءتها أقول : ان اللغة العربية من اكمل اللغات في العالم واكثرها استجماعا لاسباب البقاء ، ان لم تكن هي الاكمل والابقى .

بل هي تمتاز عن جميع لغات العالم بعبقرية الحروف ، فالحرف العربي ليس جزءا من الكلمة وحسب ، وانما هو لبنة في بناء الكلمة . وكاني بهذه الحروف قد نحتت بشكل هندسي عجيب : اينما القيت على جدار الكلمة ، دخلت في المداك وأعطت معنى جديدا ليس من لغة على وجه الارض يمكن أن تأخذ من حروفها الثلاثة وكذلك عددا وفيرا من الكلمات ، منها الافعال ومنها الاسماء ، أو الجموع أو المصادر ... معاني مختلفة ،

تشعب منها معان متلونة ، هي اشبه بالاشعة اذ تخرج ن المنشور ... كل ذلك يختلج في ذهنك على هوى ختلاج الحروف الثلاثة بين انساملك ! خذ العين والراء الفاء مثلا ، واسمع : عرف ، عفر ، رفع ، رعف ، فرع، مر ... ستة افعال مستقله المعاني ، فضلا عما يضيفه شكل على الحروف الثلاثه من التماع معان جديدة : رف ، عرف ، عرف ، عرف ، الخ .. الخ .. كل ذلك ن العين والراء والفاء .. فباي آلاء اللغة العربية يكذبون!

واللغة العربية لغة التصريف والاشتقاق ، معدنها من اتها لا تحتاج الى اللاتينية واليونانية ، مثلا ، لتشتق عنى جديدا .

ان احوج ما تحتاج اليه الشعوب العربية، في معرض لتعريب ، هي ان تتعرب ، أن تتقن لغتها : الاصول الفروع . الجذور الضاربة في تراب الماضي ، خزان لحياة والجذع والاغصان الفارغة في هواء الحاضر ، عامة الحياة وطبيعة الشجرة والمناخ الذي تعيش فيه ، ضمانة الحياة . بعد ذلك تسهل معرفة طرق التطعيم لحصول على ثمار جديدة .

معرفة اللغة ، واستكناه الكشف في عالم المادة في عالم الروح شرطان اساسيان لنجاح التعريب ، وهما الشرطان الاساسيان لتحقيق ذاتنا واللحاق بركب الفكر الانساني .

اللغة كائن حي ، فيجب الا نعزلها عن الحياة . دعوا اللفظة التي ادت رسالتها تموت ، فاللغة التي لا تموت فيها الفاظ لا تولد فيها الفاظ . واللغة العربية ولادة بالطبع ، ولكن حذار ان تحاولوا توليد الفاظ ليس من طبيعتنا أن نحبل بها .. نريد تعريبا لا لغو فيه ولا تأثيم !

وحذار من الايمان باللهجات العامية ، وبانها اصدق تعبيرا عن خوالج النفس واقرب الى الحياة . لم يضع الاستعمار مخططا اضخم من هذا للنيل من قوميتنا ومن قوتنا .

انني ارجو أن يكون مؤتمر التعريب فاتحة خير ، وحلقة في سلسلة . وان يتوفق الى وضع اسس للتعريب كفيلة بان تعيد الى اللغة العربية مركزها في نفوس أبنائها ، لتعود هي بنشاطها تلك اللغة الفكرية العالمية التي تتلمذ عليها الفكر العالمي .

وقبل مغادرته للمغرب اتصل به مبعوثنا واجرى معه الاستجواب التالي :

استجواب مع الدكتور سليم حيدر

الدكتور سليم حيدر شخصية عربية بارزة في ميدان العلم والآداب لا يحتاج الى تقديم وهو ممثل لبنان الدائم سابقا في المجلس التنفيذي للمكتب الدائم للتعريب كما أنه شارك بصفة فعالة في مؤتمر التعريب الاول . القى عليه مبعوثنا عدة أسئلة أجاب عنها فيما يلي :

س) لقد سبق للاستعمار الفرنسي أن بذل جهوده لتعجيم بلادكم ، فما هي الوسيلة التي اتبعتموها بعد الاستقلال لتعريب الدوائر الرسمية ؟.

ج) لم نواجه مثل هذه المشكلة في لبنان لان اللغة العربية كانت دائما ولا تزال لغة الدوائر الرسمية حتى في عهد الانتداب الفرنسي .

لقد كان للفرنسيين سجلات بلغتهم لدوائر المفوضية العليا ولكن الدوائر اللبنانية كانت سجلاتها باللغة العربية .

س) حسن وكيف عربتم المصطلحات العلمية والفنية؟

ج) هذه مشكلة ستطرح علينا بشكل حاد في السنوات المقبلة لان التعليم العالي في لبنان كان الى عام 1961 باحدى اللغتين الفرنسية أو الانجليزية ومنذ تأسيس الجامعة اللبنانية درجت على تدريس العلوم باللغة الفرنسية ماعدا التاريخ والجغرافيا والعلوم الاجتماعية عموما ، ولكن منذ ثلاث سنوات فتحت اقسام جديدة بالعربية في هذه المواد

س) ما رايكم في الخطة التي يتبعها المكتب الدائم للتعريب ؟

ج) اعتقد انها خطة حكيمة لان المكتب يبدي نشاطا ملحوظا في تنسيق الجهود التي تبذل في الدول العربية كافة وجمع حصيلات البحث والتدقيق ووضع المصطلحات الجديدة وايصالها الى قرائها بشكل ميسور فوجود هذا المكتب لا بد منه كممثل لمؤتمر التعريب ومنسق لجميع الجهود في مضمار التعريب ، ولكن وجود المكتب ليس من شأنه وحده ان ينهض بالرسالة الكبيرة وان يحقق الهدف الاسمى الذي نصبو اليه جميعا وهو ايصال اللغة العربية الى مستوى لغة عالمية بجميع معاني الكلمة العلمية والفنية كما كانت في القرون الوسطى يوم كان معهد للحقوق يدرس باللغة العربية على انني لا اعتقد ان المشكلة عويصة لان أساتذة هذا المعهد جميعهم من كبار القضاة ورجال القانون وسبق لهم قبل توليهم التعليم أن وضعوا مؤلفات قانونية باللغة العربية .
والعالم يعتبرها لغة الثقافة وان وسائل الوصول الى هذا الغرض عديدة أهمها وسيلتان الاولى تدريس اللغة العربية باعتناء واتقان ووضع الكتب المدرسية المناسبة على الطرق الحديثة التي تسمح للتلاميذ بأن يتناولوا لغتهم بسهولة ولذة وفائدة شاملة والفت النظر بشكل خاص الى كتب القراءة التي يجب أن تكون منوعة المواضيع وأن تتناول دون تعمق في التفاصيل

بعض المواضيع العلمية والرياضية والفنية والجغرافية وما الى ذلك بحيث يتلقف الطفل وهو يقرأها شيئا من المصطلحات العلمية يكون ذخيرة له عند ما يدرس هذه المواد المختلفة باللغة العربية .

والوسيلة الثانية هي أن تتوحد جميع المجامع العلمية العربية في مجمع واحد يكون مؤلفا من اخصائيين باللغة العربية واصولها ومن اخصائيين في العلم الحديث في مختلف مضاميره ، ويعيد المجمع العلمي الموحد النظر في جميع المصطلحات التي وضعتها المجامع العلمية العديدة ويتفق على تسميات موحدة للمفاهيم الجديدة ثم يكمل عمله في هذا المضمار وهو عمل دائم التجرد يقتضي علما واسعا ونشاطا لا يكل .

واعتقد ان اجتماع اقطاب اللغة واقطاب العلم العربي أجمع في مجمع دائم موحد لن يكون له سوى أثر طيب على اللغة العربية والتراث الفكري العربي وعلى النهضة المباركة التي اشرقت شمسها منذ سنوات على جميع الاقطار العربية . وحتى من الجهة المادية نعتبر توحيد المجامع العلمية أمرا ضروريا لان المجمع العلمي الموحد يجب أن تكون له امكانيات مادية ضخمة ليقوم بمهمته على اكمل وجه وهذه الامكانيات ربما يعجز أي بلد عربي وحده عن تقديمها له بينما تسهل على كل بلد عربي المساهمة حسبما يستطيع في ميزانية المجلس الضخمة بمثل هذه الوسائل ونحن نرى أن التعريب بمعنى تعريب الدوائر الرسمية وتعريب مواد التدريس حتى آخر مرحلة من مراحل التعليم وايجاد جميع ما يجب ايجاده من المصطلحات العلمية بحيث تصبح اللغة العربية اكمل لغة في العالم كل ذلك في نظرنا لا يكفي وليس هو الغاية وانما هو وسيلة الى الغاية لان غاية الغايات ليست ان نتدارك تاخرنا عن ركب التفكير الانساني فحسب وانما هي في نظري أن نعد للفكر العربي وسائل الانطلاق من جديد ليسهم من جديد في عمل الخلق كما اسهم في الماضي ولتحتاج باقي اللغات ان تجد لنفسها مصطلحات الابتكارات العربية الجديدة .